لُغزُ المَرْسِمْ

(1)

اعتادت سوزان أن تمر بشارع هادئ، يميزه قصر كبير مهجور، تلتف الاشجار الكثيفه من حوله لا يظهر منه الا القليل، تمربه صباحا فقط ففى المساء يغط فى ظلمه شديده، ذات مساء خرجت مع صديقتها كارما تتنزه بالسيارة، مر الوقت سريعا طلبت منها أن تقلها للمنزل، بالطريق تذكرت ذلك الشارع قالت لها:

- ادخلى من هنا أقرب.

دخلت ولأول مرة تمر به ليلا، بجانب القصر نظرت إليه لتجد غرفة مضاءة، تبدو بها لوحة كبيرة، بعيدة غير واضحة الملامح سألتها صديقتها:

- ما هذا المكان؟! إنه تحفة معمارية. ردت سوزان:

- إنه قصر مهجور لا لأعلم عنه شيئا.

ردت كارما:

- ما رأيك أن ندخل القصر ربما وجدنا أشباحا.

ضحكوا، وصلت الفتاه منزلها، وهى واقفة بغرفتها تذكرت تلك اللوحه، نظرت من الشباك ناحية القصر، اندهشت لأنها رأت المكان مظلم، تساءلت بحير:

- كيف أطفئت الأنوار والمكان مهجور، صباحا؟

ذهبت لعملها التقت صديقتها، دار حديث بينهم عن ليلة أمس، خاصه عن الغرفه المضأه وكيف أنها أظلمت، بحثوا على الحاسوب عن معلومات تفيدهم، وجدوا معلومة واحدة، إنه فى حادث غريب، اختفى جميع سكانه، ولا يعلم أحد عنهم شيئا، أنهت عملها سريعا، عادت إلى منزلها سالت أمها ربما تعرف شيئا، قالت لها:

- الحكايات كثيرة ابنتي، لكن لا نعلم الحقيقة.

تابعته الفتاة كل ليلة، كانت الغرفه تضاء ليلا، وبعد ساعات قليلة تنطفئ، أحست بالقلق والرعب، لماذا تلك الغرفة بالذات؟ كانت تتمنى دخوله، وهى فى طريق العودة من العمل، رأت أنها فرصة جيدة لاختلاس النظر، وقفت على البوابه طويلا، بالصدفة رأت زهورا جميلة تحبها تمنت الدخول لتأخذ بعض منها، خوفها منعها، بمنزلها تنتظر كارما وعدتها بزيارتها اليوم، جاءت وبعد انتهاء الأحاديث همت بالمغادرة، وفى طريقها للخروج سألتها:

- ما أخبارقصرك؟ كنت سأدخله البارحة، لماذا فذكرت لها تلك الزهور التى تعشقها.

قالت كارما بانفعال:

- سوف أحضرها لكِ فأنا لاأخاف قصرك الملعون، تعالى.

ضحكا ونزلا الدرج مسرعين، وقفت سوزان بالخارج، دخلت صديقتها، أحضرتها لها، أسرعت بالخروج ولكنها أحست بإحساس غريب كأن أحدهم يحدق فيها، لم تخبرها، ورحلت مسرعة، أحست سوزان باستغراب، وقفت وحيدة أمام الباب تنظر، تفكر أن تدخله؛ فكارما دخلت وخرجت ولم يحدث شئ، فتحت البوابة ببطء وصوت أزير الباب فى أذنها يرعبها، ولكنها لم تتراجع، وكان شئ ما يدفعها للدخول، وصلت للباب، اختلست النظر من

النافذة المفتوحة أيسره، وجدت بهوا كبيرا ممتلئا بالأثاث والتحف، ينتهى بسلم للدور العلوى، قفزت من النافذه، فجأة تراجعت، خرجت لا تنظر خلفها، دقات قلبها فى ازدياد، صاعدة إلى غرفتها، تنظر من نافذتها، وكلها شوق لتكمل المغامرة، وهى بالعمل حكت لصديقتها ما حدث، قالت لها:

- أنا أيضا شعرت بالخوف الشديد البارحه لكنى لم أخبرك.

اتفقا على أن يدخلاه معا أفضل، فتحت سوزان البوابة قفزتا من النافذة، دخلتا ببطء شديد، وجدا غرفة فى البهو ممتلئة بالكتب وغرفة أخرى بها طاولة كبيرة عليها أوانى ذهبية وفضية، تبدو غرفة لتناول الطعام، أيضا غرفا للخدم، انتهيتا من الطابق الأول ولم تجدا شيئا مخيفا، أحستا بالاطمئنان قليلا، قررتا الصعود للطابق العلوى، صعدتا ببطء شديد ممسكتين يدى بعضهما، وكانت سوزان تتحرق شوقا لتدخل الغرفة، وجدا غرفا كثيرة، كل واحدة كتب عليها اسم، كانت مغلقة جميعا مما صعب عليهم الأمر فى نهاية الرواق لوحة كبيرة لامرأة جالسة يقف بجوارها رجل يرتدى بذلة، قررتا أن تفتحا الغرف واحدة تلو الأخرى وبدأتا بالغرفة الأخيرة، تبدو لطفل ألعابه وملابسه تدل أنه صبى، لم تجدا شيئا غريبا، غادرتا الغرفه فتحتا الغرفة التالية، كانت غرفة نوم كبيرة، لفت نظرهما خزانة فتحتها سوزان، كان بها ملابس وعلبة أسفلها بها أوراق وصور وبعض الحلى التى تبدو مقلدة، أعجبت سوزان بسوار مطرز ارتدته بساعدها، غادرتا الغرفة، تاخر الوقت فقررتا الذهاب ولم تشاهدا بعد الغرفة المضاءة، وفى بالهما أن تكون أول الغرف التى سيشاهدنها المرة القادمة.

نامت بلا تفكير، شعرت بأن أحدا ما دخل غرفتها، جلس بجوارها، أحست بيد على جسدها، قامت من النوم على صرخة قوية أفزعت والدتها، جاءت مسرعة: - انتِ تحلمين وتلك تخاريف لا أكثر عودى إلى نومك.

خرجت الأم من الغرفة، لكن سوزان لم تنم، أخذت تفكر فى ذلك الكابوس، ولماذا حدث لها بعد زيارة القصر، غلبها النعاس من كثرة التفكير فقررت أن تذهب لترى الغرفة التى شغلتها، صعدت السلم وقفت أمامها تسمرت بضع دقائق، فتحتها اندهشت، لا يوجد بها إلا لوحة رسم وألوان وبعض الأثاث، لمن تلك الغرفة! ومن كان يرسم بها؟!

(2)

اقتربت من اللوحة ازاحت الساتر من عليها، وجدت امرأة جميلة جدا، لكن المفاجأة أنها ترتدى ذلك السوار الذى احتفظت به، انتابها القلق من المرأة باللوحة، نزلت سوزان للأسفل وهى تسير للخارج شعرت وكأن شيئا يجذبها نحو غرفة المكتب، ألقت نظرة، وجدت مكتبا كبيرا يتوسط الغرفة، عليه أوراق كثيرة وكتب، اقتربت من المكتب جلست على الكرسى، بدأت بفتح الأدراج، لكن هناك درجا مغلقا، بحثت عن مفتاحه لم تجده، وجدت مجموعة صور قديمة وخطابات وأوراق كثيرة واقلام، أغلقت الأدراج، وخرجت مسرعة إلى الخارج، شعرت أن هناك شيئا غامضا ينتظرها، رأت تلك المرأة فى الصورة تقف أمام خزانة الملابس التى أخذت منها السوار وتمسك بمفتاح، أخذت سوزان تفكر فى ذلك الحلم وما الذى تقصده تلك المرأة، ترددت على المكان ثانية، دخلت الغرفة فتحت الخزانة، بحثت فلم تجد شيئا إلا العلبة فتحتها لاجديد، أعادتها مكانها وجدت علبة صغيرة مختبئة بداخل الخزانة التقطتها، بها مفاتيح، تبادر إلى ذهنها الدرج المغلق نزلت مسرعة، أخذت تجرب المفاتيح، انفتح الدرج، وجدت به مفكرة صغيرة، تبدو يوميات، بأنفاس متقطعة تقرأ بشغف:

"تزوجت بامرأه تعانى من مرض نفسى، تعاملنى بطريقة جنونية، كم مرة أنقذ ابنى من بين يديها، تحاول أن تقذفه من الشباك وهى تداعبه، كانت تضربه بقسوة حين يخطئ، معاملتها سيئة، تعتقد أننى أريد أن أقتلها، أعانى

منها الأمرين، الخادمة تعيش بالقصر معنا مسئولة عن الطفل، تساعده فى كل شىء، امرأة جميلة طيبة، شعرت زوجتى بالغيرة الشديدة، ولكنى لاأستطيع الاستغناء عنها؛ فهى صبور والطفل يحبها. قامت علاقة حب بينى وبينها، آخذها ليلا لمرسمى الخاص شعرت بذلك زوجتى، جن جنونها، وفى الفترة الأخيرة لا تطيق رؤيتنا، اشتد عليها التعب، تنتابها نوبات هستيرية من وقت لآخر، ولا تهدأ إلا بالحقن المنومة، انتهت المفكرة، لم تجد شيئا يحل لغز الغرفة.

قررت سوزان أن تعيد المفكرة ومازال اللغز يحيرها، فتحت الدرج لتضعها وجدت خيطا رفيعا، سحبته انفتح درج سرى لتجدت به أوراقا، أعترف أننى فى الفترة الأخيرة لم أعد أطيق الأمر، تخلصت منها وضعت لها السم بالعصير لأنهى حياتها، وأعود إلى هدوئى، لكنها لم تشربه أعطته لابنى، مات فى الحال، لم أصدق ما حدث، وضعتها بمرسمى، أغلقت عليها الباب، منعت عنها الأكل، كنت أدخل كل ليلة لأعذبها وأنهال عليها بالضرب، أطفىء سجائرى بجسدها وأقطع أجزاء جسدها وأتركها تنزف طوال الليل، ماتت وتعفنت، دفنتها أنا وخادمتى بالحديقة بجوار ابننا، لم أعد أطيق العيش هنا، سأسافر إلى الخارج، أخذت الأوراق والمفكرة وهى تفكر بأمر المرأة فى الحلم، وتيقنت أنها الزوجة المقتولة، خرجت إلى الشرطه لتضع بين أيديهم الأدلة، تابعت سوزان التحقيقات بالجرائد، وعلمت أن الزوج لم يغادر البلاد، وجارى البحث عنه هو والخادمة، وبمراقبة المكان تم القبض على الزوج يجلس وحيدا ليلا بمرسمه بالقصر، بجوار لوحة زوجته باكيا وبيديه زجاجة خمر، يعترف الزوج بجريمته، وورد بالتحقيقات أنه نادم على كل شىء. فكان يحلم بها دوما ولم يستطع العيش وهو يفكر بها كل ليلة، ونقل عنه:

- أرجو أن تريحونى من عذابى، وأشكر من دلكم علىَّ، اليوم فقط ارتحت.

شعرت سوزان أنها يجب أن تعيد السوار فى مكانه هناك، ولا يصح الاحتفاظ به بعد ما عرفته من أحداث، ذهبت للقصر، نظرت للحديقة الخلفية مكان حفر الشرطة حيث تم العثور على الجثث، استدارت وهى بطريقها للخارج نظرت ناحية المرسم رأت تلك المرأة بالحلم تقف خلف الزجاج المغطى بالأتربة تبتسم لها.

نجلاء شهاب

obeikan.com